وجـاردد سـيـتي والزمـالك وأهل أبي في الحـارة، لا أقـصـد أنهـم صـاروا يتزاورون، بل جمعهم شاغل واحد ألحظه هنا وهناك. كنت في التاسعة من عمري عام ١٩٥٦، أذكر الحديث اليومي عن السفر، اجتماع الكبار حول خريطة ما، أو رسالة وصلت مؤخرا، أو مناقشة إمكانية الحصول على تأشيرات سفر وما قاله قنصل فرنسا وما وعدت به شركة سياحية. يقولون سنسافر إلى مارسيليا ومنها إلى إسرائيل، ثم يقولون سنذهب إلى البرازيل، ثم يكتشفون أن فرعا ما من العائلة يعيش في النمسا فيقولون النمسا، ولا يكاد خيالي يحط على مكان أزيِّنه وأحلم بالإقامة فيه حتى يُغَيِّرونه، كما يغيِّرون في ملامح البيت بأشياء يبيعونها وأشياء أخرى يشترونها وأشياء ثالثة يرفعونها من أماكنها ويلفونها بأوراق الجرائد القديمة استعدادا لوضعها في صناديق كرتونية، حمى عجيبة تدفع بأمي وخالتي وزوجها لشراء حقائب، حقائب كبيرة وحقائب صغيرة، «هذه متينة تتحمل، تلك خفيفة تصلح لحملها باليد، لا أخطأنا، هذه الحقيبة التي اشترياها بالأمس لا تصلح، لا يهم، يمكن تركها، الحقيبة التي رأياها اليوم في جاتينيو أفضل، غدا نشتريها». وفي الحارة أيضا، في شقة جدي، وشقق أعمامي تتكاثر الصناديق والحقائب.

سافر إدي إلى فرنسا، لم يختر ذلك، ولكنه اختار بعد ذلك ببضع سنوات السفر إلى إسرائيل، شجعه على ذلك أعمامه الذين كانوا هاجروا واستقروا فيها. ثم اختار مغادرتها.

لم يحك إدي في كتابه سوى عن حياته في القاهرة، وفي الفصل الأخير يتناول السفر بالسفينة من ميناء الإسكندرية إلى مارسيليا. ثم يختتم كتابه قائلا: «كنت في الخامسة عشرة من عمري حين أعلن زوج خالتي أنه لم يعد مستعدا لرعايتنا. قال: في مصر كنا مستقرين وميسورين، باريس غالية.. دبروا أموركم.» تزوجت أمي من رجل فرنسي، وسافرتُ إلى إسرائيل للحاق بجدي وأعمامي. أقمت فيها ثلاثة وعشرين عاما، من عام ١٩٦٦ إلى عام